Sirte University Journal of Humanities: Vol.15. Issue2.December 2025.

Sirte University Journal of Humanities (SUJH) مجلة جامعة سرت للعلوم الإنسانية

Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/Humanities/index

https://doi.org/10.37375/sujh.v15i2.3679

منهجيّة توجيه القراءات في كتاب "تقريب المعاني أبو الفرح، سيد لاشين، وخالد بن محمد الحافظ العلمي ،(1421هـ) (دراسة وصفية تحليليّة للمواضع الواردة في سورة البقرة)

إبراهيم السّنوسيّ السّوسيّ.

Abrahymalsnwsy43@gmail.com

كليّة القرآن الكريم، جامعة السّيّد محمّد بن علي السّنوسيّ

الإسلاميّة – ليبيا

تاريخ الوصول: 2025.9.15 – تاريخ الموافقة: 2025.11.21 – تاريخ النشر: 2025.12.1

الكلمات المفتاحية:

القراءات القرآنية، توجيه القراءات، تقريب المعاني، سورة البقرة، المنهجية اللغوية، العلل النحوية والصرفية.

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى استجلاء المنهجية اللغوية المتبعة في كتاب "تقريب المعاني في شرح حرز الأماني" لسيد لاشين أبو الفرح وخالد بن محمد العلمي، وذلك من خلال دراسة تطبيقية على المواضع التي عني فيها بتوجيه القراءات القرآنية الواردة في سورة البقرة، وقد اتبع البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، عبر استقراء جميع المواضع المتعلقة بالسورة في الكتاب، ثم تصنيفها وتحليلها للكشف عن الأسس التي استند إليها المؤلفان، وخلاصة البحث أن المؤلفين اعتمدا بشكل أساسي على التعليل اللغوي بمستوياته النحوية (الإعرابية) والصرفية والصوتية، وأن منهجهما اتسم بالإيجاز والتركيز، وفاءً لعنوان الكتاب "تقريب المعاني" الذي يهدف إلى التبسيط والتيسير، كما كشف التحليل عن إبراز الكتاب للتكامل الدلالي بين القراءات المختلفة، حيث إن كل قراءة تقدم بُعدًا معنويًا يثري النص ولا يناقضه، ويخلص البحث إلى أن كتاب "تقريب المعاني" يقدم نموذجًا منهجيًا واضحًا في تبسيط علم توجيه القراءات للمتعلمين المعاصرين.

The Methodology of Directing Readings in the Book "Taqrib al-Ma'ani" A Descriptive and Analytical Study of the Verses in Surat al-Baqarah

Ibrahim al-Sanusi al-Soussi

Faculty Member, College of the Holy Qur'an (Assistant Lecturer)

Sayyid Muhammad ibn Ali al-Sanusi Islamic University -Libya

Abstract

This research aims to elucidate the linguistic methodology employed in the book Taqrib al-Ma'ani fi Sharh Hirz al-Amani by Sayyid Lashin Abu al-Farah and Khalid bin Mohammed al-Ilmi. This is achieved through an applied study of the passages dedicated to directing the Quranic readings (Qira'at) within Surah Al-Baqarah. The study employs a descriptive-analytical methodology by extracting all relevant passages from the book, then classifying and analyzing them to uncover the principles upon which the authors based their explanations. The findings indicate that the authors relied primarily on linguistic reasoning at the syntactic (I'rab), morphological, and phonological levels. Their approach is characterized by conciseness and focus, staying true to the book's title, "Approximating the Meanings," which aims for simplification and facilitation. The analysis also revealed the book's emphasis on the semantic integration of the different readings, demonstrating how each reading offers a complementary dimension that enriches the text without contradiction. The study concludes that Taqrib al-Ma'ani presents a clear methodological model for simplifying the science of directing the Qira'at for contemporary learners.

Keywords

Quranic Readings, Qira'at, Directing Readings, Tawjih al-Qira'at, Taqrib al-Ma'ani, Surah Al-Baqarah, Linguistic Methodology, Syntactic and Morphological Reasoning.

خطة البحث :

"منهجية توجيه القراءات في كتاب 'تقريب المعاني': دراسة وصفية تحليلية للمواضع الواردة في سورة البقرة"

مقدمة:

يمثل علم توجيه القراءات حلقة الوصل بين علم القراءات وعلوم اللغة العربية، حيث يعنى ببيان وجه كل قراءة من الناحية الإعرابية والصرفية والصوتية والدلالية، وإبراز التكامل بين القراءات المتواترة، ويعد كتاب "تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع " من الكتب التي اهتمت بهذا الجانب، مقدمًا توجيهات لغوية موجزة للقراءات،

© Sirte University 2025

يهدف هذا البحث إلى استكشاف وتحليل منهجية المؤلف في توجيه القراءات القرآنية، من خلال دراسة تطبيقية تستوعب جميع المواضع المذكورة في الكتاب والمتعلقة بسورة البقرة، بهدف الكشف عن الأسس اللغوية والمنهجية التي اعتمد عليها المؤلف في توجيهاته.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في الحاجة إلى دراسة تطبيقية معمقة تكشف عن المنهجية المتبعة في كتاب "تقريب المعاني" في معالجته للقراءات القرآنية، حيث إن معظم الدراسات تتناول علم التوجيه بشكل عام أو تركز على أعلام كبار، وتأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على هذا الكتاب تحديدًا من خلال نماذجه في سورة البقرة.

أسئلة البحث:

ما الأصول النحوية والصرفية التي استند إليها مؤلف "تقريب المعاني" في توجيه قراءات سورة البقرة؟ كيف يمكن تصنيف التوجيهات الواردة في الكتاب بناءً على طبيعتها اللغوية (نحوية، صرفية، صوتية)؟ وما أبرز سمات منهج المؤلف في الربط بين اختلاف القراءة واختلاف المعنى؟

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائيّ التحليليّ، وذلك عبر استقراء جميع المواضع المتعلقة بسورة البقرة في الصفحات المرفقة، ثم تحليل توجيه المؤلف لكل قراءة، وتصنيف هذه التوجيهات، وأخيرًا بيان المنهجية والأدوات من خلال تعامل المؤلفين مع توجيه القراءات .

هيكل البحث:

المقدمة: (وتشمل أهمية الموضوع، مشكلة البحث، أسئلته، أهدافه، ومنهجيته).

المبحث الأول: الإطار النظري

المطلب الأول: مدخل تعريفي بعلم توجيه القراءات وأهميته.

المطلب الثاني: نبذة عن كتاب "تقريب المعاني" ومكانته في علم توجيه القراءات.

المبحث الثاني: التوجيه القائم على العلل النحوية (الإعرابية)

المطلب الأول: التوجيه باختلاف العلامة الإعرابية وأثره في المعنى.

المطلب الثاني: التوجيه باختلاف التذكير والتأنيث في الفعل.

المطلب الثالث: التوجيه باختلاف صيغة الفعل بين الخطاب والغيبة.

المبحث الثالث: التوجيه القائم على العلل الصرفية والصوتية

المطلب الأول: التوجيه باختلاف أبنية الأفعال وأثرها في المعنى.

المطلب الثاني: التوجيه بالظواهر الصوتية (الهمز وتسهيله، الإدغام).

الخاتمة، نتائج البحث ، التوصيات ، ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول : الإطار النّظريّ:

المطلب الأول : مدخل إلى علم القراءات وتوجيهها:

يُعَدُّ تأصيل المفاهيم وتحديد المصطلحات نقطة الانطلاق الأساسية في أي بحث علمي رصين؛ إذ إنه يرسم حدود البحث، ويوضح المنطلقات التي تأسس عليها، وفي هذا المبحث، سيتم تناول الإطار النظري الذي يحتضن هذه الدراسة، وذلك من خلال مطلبين: يتناول الأول مدخلاً تعريفياً بعلم القراءات وعلم توجيهها، بينما يخصص الثاني للتعريف بالكتاب موضوع الدراسة، وهو "تقريب المعاني".

يُعرَّف علم القراءات في الاصطلاح بأنه: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزُوًّا لناقله" (الزرقاني، محمد عبد العظيم (1995م) مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية، ج1، ص/ 407) وهذا التعريف، على إيجازه، يشتمل على قيود دقيقة؛ فقوله: "كيفية أداء كلمات القرآن" يشمل كل ما يتعلق بالنطق من تخفيف وتشديد، ومد وقصر، وإظهار وإدغام، وغير ذلك من الأصول والقواعد التي تضبط الأداء، وأما قوله: "واختلافها" فيشير إلى وجوه الخلاف المعتبرة في النطق، سواء أكانت في الحروف (الفرش) أم في القواعد الكلية (الأصول)، وأخيرًا، فإن قيد "معزُوًّا لناقله" هو حجر الزاوية في هذا العلم، إذ يخرِج كل ما لم يثبت نقله بسند متصل ومتواتر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلا مجال فيه للرأي أو الاجتهاد اللغوي المحض، بل هو علم رواية ونقل بالدرجة الأولى.

وتستمد القراءات القرآنية مشروعيتها من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، كما ثبت في الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" (البخاري، محمد بن إسماعيل (1422هـ) ، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، حديث رقم 4991)، وقد كان هذا التنوع في الأحرف تيسيرًا على الأمة، ومظهرًا من مظاهر الإعجاز القرآني، حيث إن كل قراءة، مع اختلاف لفظها، تحمل معنى يكمّل المعنى في القراءة الأخرى أو يضيف إليه بُعدًا جديدًا، دون تعارض أو تناقض (ابن الجزري، محمد بن محمد، (1999م)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية ، ج1، ص/ 51).

ثانيًا: مفهوم علم توجيه القراءات ونشأته:

إذا كان علم القراءات يركز على جانب الرواية والنقل الدقيق، فإن "علم توجيه القراءات" يركز على جانب الدراية والتحليل العقلي، يُعرَّف هذا العلم بأنه: "بيان وجه القراءة، والكشف عن علتها من الناحية اللغوية، سواء أكانت صوتية، أم صرفية، أم نحوية، أم دلالية، وإثبات صحتها في ميزان العربية" (القطان، مكتبة وهبة 2001م، مباحث في علوم القرآن ص/ 185) فهو العلم الذي يجيب عن سؤال لماذا؟ قُرئ هذا اللفظ بالرفع هنا وبالنصب هناك؟ وما الوجه النحوي الذي يسوّغ كلتا القراءتين؟ وما الأثر الدلالي المترتب على هذا الاختلاف؟

نشأ هذا العلم في وقت مبكر لخدمة النصّ القرآني وتحصينه؛ فمن ناحية، كان يهدف إلى دفع الشبهات التي أثارها بعض الطاعنين أو من لم يتسع فهمهم اللغوي، والذين زعموا أن في بعض القراءات لحنًا أو خروجًا على قواعد العربية، فجاء علماء التوجيه، كأبي علي الفارسي (ت. 377هـ) في كتابه "الحجة للقراء السبعة"، ومكي بن أبي طالب القيسي (ت. 437هـ) في كتابه "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"، ليثبتوا بالأدلة اللغوية القاطعة من كلام العرب وشواهدهم الشعرية أن كل قراءة متواترة، هي وجه فصيح من وجوه اللغة، وأن قواعد النحو إنما استُنبطت لخدمة النص لا لتحكم عليه (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، القيسي، 1987مكيّ بن أبي طالب تحقيق: محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة ، م، ج1، ص. 85).

توجيه القراءات وأهميّته:

تتجلى أهمية علم التوجيه في كونه يكشف عن جوانب الإعجاز اللغوي، والبلاغي في القرآن الكريم، فهو يوضح كيف أن اختلاف حركة إعرابية، أو بنية صرفية، أو حرف من الحروف، يفتح آفاقًا واسعة في المعنى، ويجعل النص القرآني قادرًا على حمل دلالات متعددة ومتكاملة في آن واحد، مما يدل على أنه كلام من أحاط بكل شيء علمًا.

وبذلك، يمثل علم توجيه القراءات ، الجسر الذي يربط بين الدراسات القرآنية والدراسات اللغوية، فهو يستخدم أدوات النحو والصرف والبلاغة لفهم أسرار النص القرآني، وفي الوقت ذاته، يُعَدُّ حقلًا تطبيقيًا ثريًا لهذه العلوم اللغوية.

وَهُوَ فَنٌّ جَلِيلٌ وَبِهِ تُعْرَفُ جَلَالَةُ الْمَعَانِي وَجَزَالَتُهَا وَقَدِ اعْتَنَى الْأَئِمَّةُ بِهِ وَأَفْرَدُوا فِيهِ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْحُجَّةِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، وَكِتَابُ الْكَشْفِ لِمَكِّيٍّ وَكِتَابُ الْهِدَايَةِ لِلْمَهْدَوِيِّ وَكُلٌّ مِنْهَا قَدِ اشْتَمَلَ عَلَى فَوَائِدَ وَقَدْ صَنَّفُوا أَيْضًا فِي تَوْجِيهِ الْقِرَاءَاتِ الشَّوَاذِّ وَمِنْ أَحْسَنِهَا كِتَابُ الْمُحْتَسِبِ لِابْنِ جِنِّي وَكِتَابُ أَبِي الْبَقَاءِ وَغَيْرِهِمَا **وَفَائِدَتُهُ** كَمَا قَالَ الْكَوَاشِيُّ: أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى حَسَبِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ أَوْ مُرَجِّحًا إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ تُرَجَّحُ إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى تَرْجِيحًا يَكَادُ يُسْقِطُ الْقِرَاءَةَ الْأُخْرَى وَهَذَا غَيْرُ مَرْضِيٍّ لِأَنَّ كِلْتَيْهِمَا مُتَوَاتِرَةٌ وَقَدْ حَكَى أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ فِي كِتَابِ الْيَوَاقِيتِ عَنْ ثَعْلَبَ أَنَّهُ قَالَ إِذَا اخْتَلَفَ الْإِعْرَابُ فِي الْقُرْآنِ عَنِ السَّبْعَةِ لَمْ أُفَضِّلْ إِعْرَابًا عَلَى إِعْرَابٍ فِي الْقُرْآنِ فَإِذَا خَرَجْتُ إِلَى الْكَلَامِ كَلَامِ النَّاسِ فَضَّلْتُ الْأَقْوَى وَهُوَ حَسَنٌ، (البرهان في علوم القرآن (بدر الدين الزركشي) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ] ط1، 1376 هـ - 1957 م، ص1/339)

المطلب الثّاني: التّعريف بالكتاب :

أولاً: هوية الكتاب ومؤلفاه:

الكتاب كما هو مدون على غلافه، من تأليف الأستاذين الفاضلين: سيد لاشين أبو الفرح، وخالد بن محمد الحافظ العلمي، وقد صدرت الطبعة الخامسة منه عن "مكتبة دار الزمان" بالمدينة المنورة في عام 1421هـ (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، صفحة الغلاف) ويقع الكتاب في مجلد واحد، مما يشير إلى أنه يهدف إلى الإيجاز والتركيز، وهو ما يتناسب مع غرضه التعليمي.

ثانياً: دلالة العنوان ومنهجية الكتاب

يكشف عنوان الكتاب بوضوح عن محتواه وغايته، فهو يتكون من شقين رئيسيين:

"في شرح حرز الأماني": وهذا يحدد نطاق العمل بأنه شرح لمتن الشاطبية، يسير على ترتيبه، ويفكك رموزه، ويوضح ما أشار إليه الناظم من قراءات ورواة.

"تقريب المعاني": هذا الجزء من العنوان هو مفتاح فهم منهجية المؤلفين والغاية التي يرميان إليها، فلفظ "التقريب" يحمل دلالة التسهيل والتيسير وجعل الشيء في متناول الفهم، وهذا يعني أن المؤلفين لا يهدفان فقط إلى الشرح والتوضيح، بل يهدفان إلى تقديم هذا الشرح بطريقة مبسطة، تزيل صعوبته، وتقرّب معانيه الدقيقة إلى أذهان طلاب العلم، خاصة المبتدئين منهم.

ومن خلال استقراء النماذج المتعلقة بسورة البقرة، والتي هي مادة هذا البحث، تتضح معالم هذه المنهجية التقريبية بجلاء، يتبع المؤلفان أسلوبًا واضحًا ومنظمًا في عرض المعلومة، يمكن تلخيصه في الخطوات التالية:

1- عرض البيت من الشاطبية: غالبًا ما يبدأ المقطع بذكر البيت أو الأبيات من المنظومة التي تتناول الموضع القرآني.
2- تحديد موضع الخلاف: يتم تحديد الكلمة القرآنية التي ورد فيها الخلاف بين القراء.
3- بيان القراءات: يتم ذكر القراءات المختلفة في الكلمة، مع عزو كل قراءة إلى قارئها أو راويها، غالبًا بعبارة صريحة بدلًا من الاكتفاء بالرمز الشاطبي فقط، وهو جزء من "التقريب".
4- توجيه القراءة: وهذه هي النقطة المحورية في منهج الكتاب، ومحط اهتمام بحثنا، فبعد ذكر كل قراءة، يقدم المؤلفان توجيهًا لغويًا موجزًا ومركزًا لها، وهذا التوجيه هو "تقريب المعنى" الذي وعد به العنوان، حيث يتم بيان العلة النحوية أو الصرفية التي تسوغ القراءة، مما يرسخها في ذهن الطالب ويجعلها مقبولة من الناحية اللغوية والعقلية، لا مجرد رواية محفوظة.

ثالثًا: مكانة الكتاب وأهميته:

تكمن أهمية كتاب "تقريب المعاني" في كونه يمثل حلقة وصل بين التراث العلمي الضخم في علم القراءات، وبين احتياجات المتعلم المعاصر، فبينما تزخر المكتبة الإسلامية بشروح مطولة ومتعمقة للشاطبية (مثل "فتح الوصيد" للسخاوي، و"إبراز المعاني" لأبي شامة)، فإن هذه الشروح قد تكون عسيرة على المبتدئ لما تتضمنه من استطرادات لغوية ونحوية دقيقة ومناقشات مطولة، يأتي كتاب "تقريب المعاني" ليقدم خلاصة هذا التوجيه بعبارة سهلة وأسلوب مباشر، مما يجعله مدخلاً مناسبًا لفهم علل القراءات وحججها، وتمهيدًا للتعمق لاحقًا في الشروح المطولة.

وبناءً على ما سبق، فإن دراسة منهجية هذا الكتاب في توجيه القراءات، تقدم إضاءة مهمة حول كيفية تداول المعرفة القرآنية في العصر الحديث، وأساليب تبسيطها وتقديمها، مما يجعله نموذجًا جديرًا بالتحليل والدراسة الأكاديمية.

المطلب الأول: التوجيه باختلاف العلامة الإعرابية وأثره في المعنى.

سنتناول في هذا المطلب المواضع التي كان سبب الاختلاف فيها بين القراء هو تغير العلامة الإعرابية (من رفع إلى جزم، أو من نصب إلى رفع)، مع تحليل التوجيه الذي قدمه المؤلفان وربطه بما ذكره أئمة التفسير وعلماء اللغة

الموضع1.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤ ﴾ البقـــــرة: ٢٨٤

ورد في هذه الآية، قراءتان في فعل ﴿يغفر ﴾ ، قراءة الرفع ﴿فَيَغْفِرُ ﴾ ، وهي قراءة الجمهور، ووجّهها المؤلفان بأن الفعل هنا مرفوع على الاستئناف؛ أي أن الجملة مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها من حيث الإعراب، والمعنى أن المغفرة هي من شأن الله وفضله المطلق (، تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السّبع ط5 ، سيد لاشين ، أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص/ 21).

ووردت قراءة الجزم ﴿ فَيَغْفَرْ ﴾: وهي قراءة ابن عامر وعاصم، ووجهها المؤلفان بأن الفعل مجزوم عطفًا على جواب الشرط الوارد في بداية الآية ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾

(أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص/ 21).على هذه القراءة، تكون المغفرة مترتبة على المحاسبة.

يوجه المؤلف قراءة الرفع في ﴿ فَيَغْفِرُ ﴾ على الاستئناف، و قراءة الجزم في ﴿ فَيَغْفَرْ ﴾ على العطف على جواب الشرط في قوله تعالى ﴿ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ، يعلل المؤلف القراءة الأولى على الاستئناف ، وعلة كلامه في عدم اعتبار الجزم عطفا على جواب الشرط ، فيكون الرفع بداية لجملة جديدة غير متعلقة بما قبلها ، وتوجيه قراءة الجزم ، باعتبار اكتمال أركان الجملة الشرطيّة .

يقول صاحب كتاب معاني القراءات :«وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ البقرة ، (284) ، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ بالرفع وقرأ الباقون بجزم الراء والباء، قال أبو منصور: مَنْ قَرَأَ ﴿ يُعَذِّبْ مَّنْ يَشَاءُ ﴾ أدغم الباء من ﴿ يُعَذِّبْ ﴾ في الميم من ﴿ مَّنْ يَشَاءُ ﴾ » وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى وسئل عن قوله : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ

يَشَاءُ ﴾،قال: من جزم رده على الجزم في قوله:﴿ يُحَاسِبْكُم﴾ قال: وهو الاختيار عندي، قال: ومن رفع، فهو على الاستئناف.

قال أبو العباس: إنما اختَرْت الجزم ؛ لأنه يدخل في تكفير الذنوب إذا كان جوابا لقوله: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ومن رفع، لم يجعله جوابًا لهذا الشرط. «معاني القراءات للأزهري»محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ) ،مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود ،المملكة العربية السعودية ،ط1 ، 1412 هـ - 1991 م (1/ 237).

الموضع 2:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

وردت كلمة ﴿البر ﴾ بقراءتين: قراءة النصب ﴿البرَّ ﴾: وهي قراءة حمزة وحفص عن عاصم، ووجهها المؤلفان بأنها خبر "ليس" منصوب ومقدم على اسمها، والاسم هو المصدر المؤول ﴿أن تولوا ﴾ (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص. 19)، والتقدير: ليس توليتكم وجوهكم البرَّ.

ووردت قراءة الرفع ﴿البرُّ ﴾: وهي قراءة الباقين، ووجهها المؤلفان بأنها اسم "ليس" مرفوع، وخبرها هو المصدر المؤول ﴿أن تولوا ﴾ (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص. 19)، والتقدير: ليس البرُّ توليتكم وجوهكم.

يعلل المؤلف قراءة النّصب ، بأن﴿ البر ﴾خبر "ليس" مقدم ، وقراءة رفع﴿ البر ﴾ فهو اسم " ليس" مؤخر ، ولبيان كلامه : يقول أبو زرعة في حجة القراءات: «قَرَأَ حَمْزَة وَحَفْص ﴿لَيْسَ الْبر أَن تولّوا ﴾ نصبا ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْع ، فَمن نصب جعل أَن مَعَ صلتها الِاسْم فَيكون الْمَعْنى لَيْسَ توليتكم وُجُوهكُم قبل الْمشرق وَالْمغْرب الْبر كُله وَمن رفع فَالْمَعْنى الْبر كُله توليتكم فَيكون ﴿الْبر ﴾ اسْم لَيْسَ، وَيكون ﴿أَن تولّوا ﴾ الْخَبَر وحجتهم قِرَاءَة أُبيّ ﴿ لَيْسَ الْبر بِأَن تولّوا﴾ أَلا ترى كَيفَ أَدخل الْبَاء على الْخَبَر وَالْبَاء لَا تدخل فِي اسْم لَيْسَ إِنَّمَا تدخل فِي خَبَرهَا، قَرَأَ نَافِع وَابْن عَامر ﴿وَلَكِن﴾ خَفِيفَة ﴿الْبر ﴾ رفعا وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿وَلَكِن الْبر ﴾ بالتشديد وَالنّصب اعْلَم أَنَّك إِذا شددت ﴿لَكِن ﴾ نصبت ﴿الْبر ﴾ ب" لَكِن "وَإِذا خففت رفعت الْبر وَكسرت النُّون لالتقاء الساكنين »«حجة القراءات» ،عبدالرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي 403 هـ) ، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني [ت 1417 هـ] ، دار الرسالة (ص123).

وقع الخلاف في كلمة ﴿الْبر ﴾ بين النصب والرفع.

أ- قراءة النصب ﴿الْبر ﴾:

وهي قراءة حمزة ، وحفص عن عاصم (التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتو برتزل، دار الكتاب العربي ، الداني، 1986م، ص/ 91) ووجهها المؤلفان بأن ﴿الْبر﴾ "خبر ليس منصوب، واسمها ﴿أن تولوا ﴾ (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص/ 19). وهذا التوجيه قائم على قاعدة نحوية تجيز تقديم خبر "ليس" على اسمها، والبلاغة في هذا التقديم تكمن في قصر الصفة على الموصوف، أو ما يسمى بـ "القصر الإضافي"؛ فالتركيز هنا منصب على نفي كون ﴿الْبر ﴾ مقصورًا أو منحصرًا في هذا الفعل الشكلي (التوجه للمشرق والمغرب)، يقول الإمام الزمخشري (ت 538هـ) في بلاغة هذا التقديم : "لأنهم كانوا يقولون: البرّ تولية الوجه قبل المشرق والمغرب، فقيل لهم: ليس البرّ ما تدعون أنه البرّ" (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، 1987م، دار الكتاب العربي، ج1، ص/216)، فقراءة النصب إذًا تحمل معنى المبالغة في النفي، والرد المباشر على تصور خاطئ كان سائدًا، وكأنها تقول: إن حقيقة البر التي تبحثون عنها ليست أبدًا في هذا الفعل.

ب- قراءة الرفع ﴿الْبرُّ ﴾:

وهي قراءة الباقين، وهي الأصل في الترتيب النحوي، ووجَّهَهَا المؤلفان بأن ﴿الْبرُّ ﴾ "اسم ليس، وخبرها المصدر المؤول (أن تولوا)" (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص/ 19)، تأتي هذه القراءة على الترتيب الأصلي للجملة، وهو تركيب هادئ ومباشر لنفي الخبر عن المبتدإ، والمعنى: أن ﴿الْبر ﴾ كقيمة عليا ومفهوم شامل، ليس هو مجرد التوجه هنا أو هناك؛ فالنفي هنا يقع على الجملة الخبرية بأكملها بطريقة تقريرية، يقول أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ): "وقراءة الرفع على الأصل، وهو أن يلي الفعلَ اسمُه" (البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، 1992م، ج2، ص/ 32)، فقراءة الرفع تقدم المعنى بصورة تقريرية واضحة، بينما قراءة النصب تقدمه بصورة بلاغية أكثر قوة وتخصيصًا في الرد على المخاطبين.

الموضع3:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ

إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ البقرة: 240

وجّه صاحب الكتاب ، قراءة النصب في ﴿وَصِيَّةً﴾ على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف ، وعلل قراءة الرفع في ﴿وَصِيَّةٌ﴾ على أنها خبر لمبتدإ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف.

يقول الأزهري: " وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾ ، قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم والكسائي ويعقوب: ﴿وَصِيَّةٌ﴾ رفعا ، وقرأ الباقون: ﴿وَصِيَّةً﴾ نصبا، قال أبو منصور: مَنْ قَرَأَ وَصِيَّةً أراد فليُوصوا وَصِيَّةً، ومن رفع ، فالمعنى فَعَلَيْهم وَصِيَّةٌ لأزواجهم، هكذا قال النحويون، والاختيار ، الرفع لقراءة أبيّ وابن مَسْعود: (الوَصِيةُ لأزواجِهِم متاعًا) ، قال أبو منصور: وهذا منسوخ"(معاني القراءات للأزهري، 209).

المطلب الثاني: التوجيه باختلاف التذكير والتأنيث في الفعل.

من دقائق اللغة العربية ومرونتها، جواز تذكير الفعل مع الفاعل المؤنث في أحوال معينة، كأن يكون الفاعل مؤنثًا مجازيًا، أو أن يكون هناك فاصل بين الفعل وفاعله، وقد أتاحت هذه السّعة اللغوية مجالًا لتنوع القراءات القرآنية في هذا الباب، حيث تأتي قراءة بالتأنيث على الأصل الغالب، وتأتي أخرى بالتذكير على وجه من وجوه الجواز والفصاحة، ويكون لكل وجه دلالته البلاغية الخاصة ، وقد برز هذا النوع من التوجيه في موضع من سورة البقرة في كتاب "تقريب المعاني".

الموضع4:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ البقرة: 48

يوجّه المؤلف قراءة التذكير في ﴿يُقْبَلُ ﴾ لكون الفاعل ﴿شفاعة ﴾ مؤنث مجازي فُصِل عن فعله ، بينما يوجه قراءة التأنيث في ﴿تُقْبَلُ ﴾ على الأصل في مطابقة الفعل للفاعل المؤنث.

وهنا أستدل بكلام النّحّاس :

وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ ويجوز «تقبل» بالتاء لأنّ الشفاعة مؤنّثة وإنّما حسن تذكيرها لأنها بمعنى التّشفّع كما قال: [الكامل]

إنّ السّماحة والمروءة ضمّنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح ، وقال الأخفش: حسُن التذكير لأنك قد فرقت ، قال سيبويه : وكلّما طال الكلام فهو أحسن، وهو في الموات أكثر، فرقوا بين الحيوان والموات كما فرّقوا بين الآدميّين وغيرهم في الجمع، شَفاعَةٌ اسم ما لم يسمّ فاعله وكذا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ابتداء وخبر(إعراب القرآن للنحاس ،أبو جعفر النحاس، ت 338هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1421 هـ، ص51، 1/52)

يقول الأزهريّ: وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب

﴿ ولا تُقْبل ﴾ – بالتاء ، وروي عن عاصم مثل ذلك، وقرأ الباقون بالياء.

قال أبو منصور: مَن قرأ بالتاء، فَلِتَأنيث الشفاعة، وَمَنْ قَرَأَ بالياء؛ فلأن الشفاعة كالمصدر، وإن كان لفظها مؤنثا، وهو كقول الله جلَّ وعزَّ:

﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ هود: ٩٤ ، وقال في موضع آخر: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ هود: ٦٧،

، لأن الصيحة وإن كان لفظها مؤنثا فهي مصدر، وكل ذلك جائز في كلام العرب (معاني القراءات للأزهري، 1/149).

وهكذا نرى أن القراءتين صواب وفصاحة؛ فقراءة التذكير جائزة لوجود الفاصل وكون التأنيث مجازيًا، وتحمل معنى نفي جنس القبول، وقراءة التأنيث هي الأصل الأقوى في الصناعة النحوية، وتحمل معنى التنصيص على نفي الشفاعة بخصوصها.

المطلب الثالث: التوجيه باختلاف صيغة الفعل بين الخطاب والغيبة.

من الأساليب البلاغيّة الرّفيعة في اللغة العربية، التي بلغ بها القرآن الكريم ذروة الإعجاز، أسلوبُ "الالتفات"، وهو التّحول في التّعبير من صيغة إلى أخرى، كالانتقال من ضمير المتكلم إلى المخاطب، أو من المخاطَب إلى الغائب، ولا يكون هذا التحول اعتباطيًا، بل يأتي محملًا بدلالات بلاغية عميقة تقتضيها طبيعة السياق، كنقد المخاطب، أو التعجيب من فعله، أو الإعراض عنه، وقد جاءت القراءات القرآنية لتعكس هذا الثراء البلاغي، حيث ترد قراءة بصيغة الخطاب وأخرى بصيغة الغيبة،

ولكلٍّ توجيهها ومعناها الذي يخدم الغرض العام للآيات، وهو ما سنوضحه في الموضع التالي

الموضع 5:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ ﴿١٤٠﴾ ﴾ البقرة: 140

وقع الخلاف بين القراء في الفعل (تقولون) بين تاء الخطاب وياء الغيبة.

أ- قراءة الخطاب بتاء المخاطَبين (أَمْ تَقُولُونَ):

وهي قراءة ابن عامر الشامي والكسائي (ابن الجزري، 1999م، ج2، ص. 219). وقد وجهها المؤلفان بقولهما إنها "على الخطاب" (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص/ 19)، وهذا التوجيه يجعل الآية استمرارًا مباشرًا للمحاجّة والمواجهة مع أهل الكتاب التي بدأت في الآية السابقة لها مباشرة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ البقرة: 139

١٣٩، ففي هذه القراءة، يتجلى أسلوب المواجهة الصريحة والمباشرة، فبعد أن أمر الله نبيه أن يواجههم بالحجة العقلية في الآية ، تنتقل الآية التي بعدها ، لتواجههم بسؤال استنكاري يكشف عن زيف ادعائهم التاريخي، ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴿١٤٠﴾ ﴾ البقرة: 140

، فكأن الخطاب يقول: بعد كل هذه الحجج، هل ما زلتم مصرين على قولكم الباطل بأن هؤلاء الأنبياء كانوا على ملتكم؟ إن في الخطاب المباشر هنا معنى "التبكيت" و"الإلزام بالحجة" كما يشير علماء البلاغة، يقول الإمام الزمخشري (ت. 538هـ) معلقًا على قوة الخطاب: "وهو أبلغ في الإلزام والتبكيت، لأن المواجهة أشد وقعًا" (الزمخشري، 1987م، ج1، ص. 192)، فقراءة الخطاب إذًا تضع أهل الكتاب في موضع المسؤولية المباشرة عن مقولتهم، وتجعل الحوار معهم حوارًا صريحًا لا مواربة فيه، مما يبرز عنادهم وإصرارهم على الباطل.

ب- قراءة الغيبة بياء الغائبين ﴿أم يقولون ﴾:

وهي قراءة بقية القراء السبعة، وهي القراءة الأشهر (السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، د،ت، ص/ 182). ووجهها المؤلفان بأنها "على الإخبار" (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص. 19)، أي الإخبار عنهم وعن مقولتهم. وهذه القراءة تمثل تحولًا من الخطاب في الآية 139 إلى الغيبة في الآية 140، وهو ما يُعرف بأسلوب "الالتفات" البلاغي.

وهذا الالتفات من مواجهتهم بالكلام إلى الحديث عنهم له دلالات بلاغية عميقة، منها:

الإعراض عنهم استحقارًا لهم: فبعد أن أقيمت عليهم الحجة في الآية السابقة، لم يعودوا أهلًا لأن يوجَّه إليهم الخطاب مباشرة، فيتحول السياق عنهم إلى الحديث عنهم مع طرف آخر (النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون)، وفي هذا إشعار بأنهم لا يستحقون شرف المواجهة والمخاطبة، يقول أبو حيان الأندلسي (ت. 745هـ): "والالتفات من الخطاب إلى الغيبة ضرب من البلاغة، وفائدته هنا هي الإعراض عنهم واحتقارهم بأن لا يخاطبوا" (البحر المحيط في التفسير أبو حيان تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر ، 1992م، ج1، ص/ 586).

التعجيب من مقولتهم: قد يكون الانتقال إلى صيغة الغيبة لغرض حكاية قولهم العجيب لطرف ثالث، على سبيل إظهار الاستغراب والتعجب من شناعة هذا القول ،فكأن الله تعالى، بعد أن أمر نبيه بمحاجتهم، يلتفت إليه قائلًا: ﴿أم يقولون ﴾ ، أي هل سمعت ما يقول هؤلاء القوم؟ وهذا أسلوب يُستخدم لإبراز غرابة الادعاء وفظاعته.

التسجيل والشهادة على قولهم: الحديث عنهم بصيغة الغائب يجعل من مقولتهم حقيقة مُسجَّلة ومشهودًا بها عليهم، لا مجرد دعوى في سياق حوار. إنها شهادة تُتلى على الملأ بأن هذا هو قولهم، مما يجعله حجة دامغة عليهم على مر العصور.

إذًا، كلتا القراءتين فصيحة بليغة. فقراءة الخطاب بالتاء تضعهم في دائرة المواجهة المباشرة والتبكيت الصريح، وقراءة الغيبة بالياء تستخدم أسلوب الالتفات البلاغي الرفيع للدلالة على الإعراض عنهم والتعجيب من قولهم وتسجيله عليهم.

في هذه الآية عندما علل المؤلف قراءة الخطاب ﴿تَقُولُونَ﴾ بأنها مواجهة لليهود والنصارى ، ووجع قراءة الغيبة ﴿يَقُولُونَ﴾ على أنها إخبار عنهم، وهذا التوجيه له أثر في الوقف والابتداء ، واختلاف قراءتي الخطاب والغيبة يتعلق بالوقف على كلمة ﴿مُخْلِصُونَ ﴾ (139) في الآية قبلها ويكون الوقف كافٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ البقرة: 139

قال الأشموني : مُخْلِصُونَ ، كاف، إن قرئ: ﴿أم يقولون ﴾ بالغيبة، وجائز على قراءته بالخطاب ، ولا وقف من قوله: ﴿أم يقولون ﴾ ، إلى قوله: ﴿أو نصارى ﴾ فلا يوقف على ﴿أم يقولون ﴾ ، ولا على ﴿الأسباط ﴾ ؛ لأنَّ ﴿كانوا ﴾ خبر ﴿إن ﴾ فلا يوقف على اسمها دون خبرها.

﴿أَوْ نَصَارَى ﴾ كاف على القراءتين، وقال الأخفش: تام على قراءة من قرأ: ﴿أم تقولون ﴾ بالخطاب؛ لأنَّ من قرأ به جعله استفهامًا متصلًا بما قبله، ومن قرأ بالغيبة جعله استفهامًا منقطعًا عن الأول؛ فساغ أن يكون جوابه ما بعده ، (منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني (الأشموني، المقرئ)، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (ت نحو 1100هـ) المحقق: عبد الرحيم الطرهوني ، دار الحديث – القاهرة، مصر2008 م، 1/91/90)

المبحث الثالث: التوجيه القائم على العلل الصرفية والصوتية.

لا يقتصر الإعجاز اللغوي في القراءات القرآنية على المستوى التركيبي للجملة (النحو)، بل يمتد إلى بنية الكلمة المفردة (الصرف) وطريقة نطقها (الأصوات)، فعلمُ الصرف، الذي يُعرّفه العلماء بأنه "علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء" (الشّافية في علم التّصريف ، تحقيق : حسن أحمد العثمان ، مكتبة الرشد ، ابن الحاجب، 1989م، ج1، ص/ 6)، هو المفتاح لفهم كيف تؤدي الزيادة في مبنى الكلمة إلى زيادة في معناها، وكيف أن لكل صيغة صرفية دلالتها الخاصة التي لا تؤديها صيغة أخرى. وقد كان هذا الميدان خصبًا في توجيهات القراء، وهو ما سنوضحه في هذا المبحث من خلال مطلبين رئيسيين، نخصص أولهما لاختلاف الأبنية الصرفية.

المطلب الأول: التوجيه باختلاف أبنية الأفعال وأثرها في المعنى.

من أبرز مظاهر الاختلاف بين القراءات ما يقع في بنية الفعل، كأن يأتي الفعل في قراءة على صيغة (فَعَلَ) الثلاثي المجرد، وفي أخرى على صيغة (فَعَّلَ) المضعّف، أو (فَاعَلَ) الدال على المشاركة، أو (أَفْعَلَ) الدال على التعدية. وكل تغيير في البناء الصرفي يقابله تغيير أو إضافة في المعنى، مما يثري دلالات النص القرآني.

الموضع 6: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ البقرة: 9

،يوجه المؤلف قراءة ﴿يُخَادِعُونَ﴾ على وزن "يُفَاعِلُون" التي قد تدل على المبالغة أو المشاركة، و قراءة ﴿يَخْدَعُونَ ﴾ على وزن "يَفْعَلُون" وهو أصل الفعل.

وقع الخلاف في الفعل الأول ﴿يخادعون ﴾ بين صيغتين:

أ- قراءة ﴿يُخَادِعُونَ ﴾ بصيغة "يُفَاعِلُون":

وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو (حجة القراءات ، ت سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرّسالة ، ابن زنجلة، 2000م، ص. 110). وقد أشار المؤلفان إلى أن هذه القراءة من "المخادعة" (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص. 9)، وهي مصدر الفعل (خَادَعَ) على وزن (فَاعَلَ). وهذه الصيغة (فَاعَلَ) تحمل في اللغة العربية عدة معانٍ، أبرزها هنا:

المشاركة: أي أن الفعل يقع من طرفين ، لكن هذا المعنى قد يُستشكل هنا، فالله تعالى لا يُخدَع، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأن المخادعة من الله هي مجاز عن جزائهم على خداعهم، فهو يتركهم في ظنهم أنهم ناجحون بخداعهم للمؤمنين، ثم يفاجئهم بالعقوبة فكانت صورة الجزاء مشابهة لصورة فعلهم، فسميت باسمها، يقول الفخر الرازي (ت. 606هـ): "مخادعة الله للعبد هو أنه كلما أظهر العبد الخير وأبطن الشر، أظهر الله له من إكرامه وإعزازه، وأبطن له من أليم عقابه" (مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، دار إحياء التّراث ، فخر الدّين الرازي، 1420هـ، ج2، ص/ 283).

المبالغة ومحاولة إيقاع الفعل: قد لا تدل صيغة (فَاعَلَ) على المشاركة الحقيقية، بل على أن الفاعل يبذل جهده وطاقته لإيقاع الفعل، وكأنه يغالبه ويصارعه ليقع، وعليه يكون معنى ﴿يخادعون ﴾ أي: يبالغون في إظهار الخداع، ويتكلفونه، ويظنون في أنفسهم أنهم يوقعون الخداع بالله وبالمؤمنين، وهذا المعنى يتناسب جدًا مع حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر.

الدلالة على إبطان عكس الظاهر: ذكر بعض اللغويين أن (خَادَعَ) تدل على إظهار شيء وإخفاء نقيضه، وهذا هو عين فعل المنافق.

ب- قراءة ﴿يَخْدَعُونَ ﴾ بصيغة "يَفْعَلُون":

وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (ابن زنجلة، 2000م، ص/ 110). وهذه القراءة من الفعل الثلاثي المجرد (خَدَعَ)، وهي تدل على أصل وقوع الحدث دون الدلالات الإضافية التي تحملها صيغة (فَاعَلَ)، فالمعنى هنا مباشر وتقريري: إن هؤلاء المنافقين يمارسون فعل الخداع، وهي تركز على توصيفهم بالخداع كصفة ثابتة وفعل صادر منهم، يقول أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) موضحًا الفرق: "فقراءة ﴿يخدعون ﴾ تدل على إيجادهم الخديعة، وقراءة ﴿يخادعون ﴾ تدل على محاولتهم وتصديهم لفعل الخديعة" (أبو حيان، 1992م، ج1، ص/ 140).

ويمكن الجمع بين القراءتين بأن قراءة ﴿يَخْدَعُونَ ﴾ تخبر عن حقيقة فعلهم، وقراءة ﴿يُخَادِعُونَ﴾ تصف هيئة هذا الفعل وكيفيته المليئة بالتكلف والمحاولة والمبالغة.

وفي ذلك يقول أبوالعلاء الكرمانيّ: قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ ، يخادعون: يفاعلون من الخدع، يقال: خَدَعْتُه خِدْعًا وخَدْعًا وخَدِيعَة، إذا أظهرت له غير ما تضمر، قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ بمعنى: يخدعون، وقرأ حجازي وأبو عمرو بالألف، ومن قرأ ﴿يَخْدَعُونَ ﴾ قال: إن (فعَلَ) أولى بفعل الواحد من (فَاعَل)، ويخادعون بالألف، قال: هو من المفاعلة، ومعنى قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ هو أنهم طلبوا الخداع فلم يخدعوا الله ولا المؤمنين، وإنَّمَا خدعوا أنفسهم، لأن وبال خداعهم عاد عليهم ،(مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني (الكرماني، أبو العلاء) (ت بعد 563هـ) ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط1 1422 هـ - 2001 م، /ص 100).

الموضع 7: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠ ،

وقع الخلاف بين صيغة التّخفيف والتّضعيف في الفعل ﴿يكذبون﴾ ، وفي هذا الموضع يظهر توجيه المؤلف لقراءة التشديد ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ من التكذيب، أي نسبة الغير إلى الكذب ،وتوجيه قراءة التخفيف ﴿يَكْذِبُونَ ﴾ من الكَذِب، أي الإخبار بخلاف الواقع.

أ- قراءة التشديد ﴿يُكَذِّبُونَ ﴾:

وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر (التّيسير في القراءات السّبع ، الداني، تحقيق أوتو برتزل، دار الكتاب العربيّ ، 1986م، ص. 87). وهي من الفعل الثلاثي المجرد (كَذَّبَ) المضعّف على وزن (فَعَّلَ). وهذه الصيغة تدل على معنيين رئيسيين:

التعدية والنسبة: أي نسبة الغير إلى الكذب؛ فالمعنى: أنهم كانوا ينسبون الأنبياء والرسل إلى الكذب، ويكذبون بما جاءوا به من عند الله، وهذا هو صريح حال المنافقين والكافرين.

التكثير والمبالغة: تدل الصيغة على كثرة وقوع الفعل منهم، أي أن التكذيب أصبح ديدنهم وصفتهم الملازمة.

وهذا الوجه يتناسب مع سياق الآيات التي تتحدث عن جحودهم وإنكارهم للحق.

ب- قراءة التخفيف ﴿يَكْذِبُونَ ﴾:

وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي (التّيسير في القراءات السّبع ، الداني، تحقيق أوتو برتزل، دار الكتاب العربيّ ،1986م، ص/ 87)، وهي من الفعل الثلاثي المجرد (كَذَبَ) على وزن (فَعَلَ)، وهذه الصيغة تدل على صدور فعل الكذب منهم مباشرة، أي الإخبار بخلاف الواقع ، وهذا يشمل كذبهم في ادعائهم الإيمان بقولهم ﴿آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾، يقول الطبري (ت. 310هـ): "يعني بكذبهم، كان قيلهم بألسنتهم: ﴿آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ ، إخبارًا عن غير ما في قلوبهم" (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ت: أحمد محمد شاكر، الطبري، مؤسسة الرّسالة ، 2000م، ج1، ص/ 288).

والقراءتان متلازمتان، فكل من كذَّب الرسل فهو كاذب في دعواه اتباع الحق، وكل من كان الكذب صفته فسيقوده ذلك إلى تكذيب الحق عندما يأتيه. فقراءة التشديد (يُكَذِّبُون) تبين موقفهم من الرسالة (التكذيب)، وقراءة التخفيف ﴿يَكْذِبُون ﴾ تبين صفتهم الذاتية (الكذب).

قال ابن خالويه : قوله تعالى: ﴿بِما كانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ يُقرأ بالتشديد بالذال، وبضم الياء، وبفتح الياء وتخفيف الذال ، فالحجة لمن شدّد: أن ذلك تردّد منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم مرة بعد أخرى فيما جاء به، والحجة لمن خفف: أنه أراد بما كانوا يكذبون عليك بأنك ساحر، وأنك مجنون، فأضمر حرف الجر لأن كذّب بالتشديد يتعدى بلفظه وكذب بالتخفيف لا يتعدّى إلا بحرف جر، ومعنى القراءتين قريب، لأن من كذّب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب) ، (الحجة في القراءات السبع (ابن خالويه)، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت 370 هـ) ، ت: د. عبد العال سالم مكرم [ت 1429 هـ] الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت ، دار الشروق – بيروت ، ط: 4، 1401 هـ

الموضع 8: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ ﴾ البقرة 36

في هذه الآية يوجه المؤلف قراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا ﴾ من الزلل، أي أوقعهما في الخطيئة ، و قراءة ﴿فَأَزَالَهُمَا ﴾ من الزوال، أي أبعدهما ونحّاهما عن الجنة.

قال الأخفش: أما قوله ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ فإنّما يعني "الزَلَلَ" تقول: "زَلَّ فلانٌ" و "أَزْلَلْتُه" و: "زالَ فلانٌ" و "أَزالَهُ فُلانٌ" والتضعيف، القراءة الجيدة وبها نقرأ، وقال بعضهم: ﴿ فأزالهُما ﴾ أخذها من "زَالَ، يزولُ"، تقول: "زالَ الرجلُ" و "أزالَهُ فلان"

(معاني القرآن للأخفش (الأخفش الأوسط)، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ) ، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط1، 1411 هـ - 1990 م، ص 1/73).

وهنا يتجلى إعجاز القراءتين في تكاملهما؛ فقراءة الجمهور (فأزلّهما) تصور السبب (الإغواء للمعصية)، وقراءة حمزة (فأزالهما) تصور النتيجة (الإبعاد عن الجنة)، فكأن القراءتين معًا تقدمان مشهدًا كاملاً للقصة، فكان الزلل هو المؤدي إلى الزوال.

الموضع 9: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١ ﴾ البقرة: 51

في هذا الموضع يتبين توجيه المؤلف لقراءة ﴿وَاعَدْنَا ﴾ بإثبات الألف على أنها من باب المفاعلة التي تكون بين اثنين، وتوجيه قراءة ﴿وَعَدْنَا ﴾ بحذف الألف على أن الوعد كان من الله وحده.

الخلاف هنا دائر بين إثبات الألف في الفعل ﴿واعدنا ﴾ وحذفها.

أ- قراءة ﴿وَاعَدْنَا ﴾ بإثبات الألف:

وهي قراءة الجمهور ما عدا أبا عمرو (ابن مجاهد، د ،ت، ص/ 161)، ووجهها المؤلفان بأنها من "باب المفاعلة التي تكون من اثنين" (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص. 14)، فصيغة (فَاعَلَ) هنا تدل على المشاركة ،فالمواعدة كانت من طرفين: من الله تعالى وعدًا باللقاء وإنزال التوراة، ومن موسى عليه السلام وعدًا بالحضور والامتثال للأمر في الميقات المحدد.

وهذا التوجيه يبرز مكانة النبي موسى عليه السلام كطرف في هذا العهد والميثاق الإلهي، فالله لم يفرض عليه الأمر فرضًا مجردًا، بل كان هناك ميثاق ومواعدة، مما يدل على تكريم الله لنبيه وكليمه، يقول الفخر الرازي (ت 606هـ) في هذا المعنى: "المفاعلة وإن كانت في الأصل بين اثنين، إلا أنها قد تجيء من الواحد، والأَولى أن تكون على بابها، فكان الوعد من الله لموسى، ومن موسى بالطاعة والقبول" (الرازي، 1420هـ، ج3، ص/ 473)؛ فقراءة ﴿وَاعَدْنَا ﴾ تبرز الجانب التكليفي والتشريفي في القصة.

ب- قراءة ﴿وَعَدْنَا ﴾ بحذف الألف:

وهي قراءة أبي عمرو البصري ويعقوب الحضرمي (ابن الجزري، 1999م، ج2، ص. 209)، ووجهها المؤلفان بأن الوعد هنا "من الله وحده" (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص/ 14)، فالفعل الثلاثي المجرد (وَعَدَ) يدل على صدور الفعل من طرف واحد.

وهذه القراءة تركز على المصدر الإلهي للوعد، فالوعد بالتوراة والمناجاة هو محض فضل من الله تعالى، وهو المنشئ له ابتداءً، إنها تبرز الجانب الإلهي المتعالي، وأن الأمر كله بيد الله، فهو الذي وَعَدَ تفضلاً، وموسى هو المتلقي لهذا الوعد الإلهي، يقول أبو حيان الأندلسي (ت. 745هـ): ﴿وَعَدْنَا ﴾ يدل على أن الفعل صدر من واحد، وهو الله تعالى الواعد لموسى" (أبو حيان، 1992م، ج1، ص. 285).

جاء في إعراب الآية ما قال النحاس : وَإِذْ واعَدْنا مُوسى وقرأ أبو عمرو وأبو جعفر وشيبة وإذا وعدنا بغير ألف وهو اختيار أبي عبيد وأنكر ﴿واعدنا ﴾ قال: لأن المواعدة إنما تكون من البشر، فأما الله جلّ وعزّ فإنما هو المنفرد بالوعد والوعيد،على هذا وجدنا القرآن كقوله: ﴿وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾ ،إبراهيم: 22، وقوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ﴾ ،الفتح: 29، وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ ﴾ ،الأنفال: 7، هذا غلط بيّن لأنه أدخل بابا في باب وأنكر ما هو أحسن وأجود و ﴿واعدنا ﴾ أحسن ، وهي قراءة مجاهد والأعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائي، وليس قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ،المائدة: 9، من هذا في شيء، لأن ﴿واعدنا ﴾ إنما هو من باب الموافاة وليس هو من الوعد والوعيد في شيء وإنما هو من قول: موعدك يوم الجمعة، وموعدك موضع كذا، والفصيح في هذا أن يقال: واعدته (إعراب القرآن للنحاس ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، وضع

حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1421 هـ، ص1/52)

ومرة أخرى، تتكامل القراءتان؛ فقراءة (وعدنا) تؤكد على أن مصدر الفضل والوعد هو الله وحده، وقراءة (واعدنا) تبين أن هذا الفضل تضمن عهدًا وميثاقًا كان موسى عليه السلام طرفًا فاعلاً فيه، مما يجمع بين بيان عظمة المنّة الإلهية وتشريف مكانة النبوة.

المطلب الثاني: التوجيه بالظواهر الصوتية (الهمز وتسهيله، الإدغام):

لم تكن لهجات العرب الفصيحة على وتيرة واحدة في نطق جميع الأصوات، بل كان بينها تباين صوتي محمود، يُعد من مظاهر ثراء اللغة ومرونتها، وقد حفظت لنا القراءات القرآنية المتواترة هذا الثراء الصوتي، فجاءت بعض القراءات بتحقيق الهمز، وجاءت أخرى بتسهيله، وجاء بعضها بالإدغام وغيره من الظواهر الصوتية التي تهدف إلى تيسير النطق وتجانسه، وقد عني المؤلفان في "تقريب المعاني" ببيان هذه الظواهر، وهو ما سنفصله في المواضع التالية.

أولاً: ظاهرة الهمز وتسهيله:

الموضع 10 : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ البقرة: 67

يُعدّ الهمز من أثقل الحروف نطقًا وأبعدها مخرجًا، ولذلك مالت كثير من القبائل العربية، وعلى رأسها قبائل الحجاز، إلى تسهيله بطرق مختلفة كالتخفيف أو الإبدال أو الحذف، بينما حافظت قبائل أخرى، كتميم، على تحقيقه، وقد ورد هذا التباين في القراءات القرآنية، مما أثرى الأداء الصوتي للنص المعجز.

وقع الخلاف في كلمة ﴿هُزُوًا ﴾ بين تحقيق الهمز وإبداله واوًا.

أ- قراءة ﴿هُزْءًا ﴾ بالهمز:

وهي قراءة حفص عن عاصم (متن حرز الأماني من مصادر متعددة)، الشاطبي، د.ت، البيت 449)، وهذه القراءة جاءت على الأصل اللغوي للكلمة، فالجذر هو (هـ-ز-ء)، والمصدر منه (هُزْء)، والتحقيق، كما يذكر علماء الصوتيات، هو الأصل في نطق الهمزة، وهو لغة أهل الحجاز الذين نزل القرآن بلسانهم أولاً، يقول الإمام ابن الجزري (ت 833هـ): "اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقًا وأبعدها مخرجًا، تنوعت العرب في تخفيفه" (النشر في القراءات العشر ، ت: علي محمد الضباع ، ابن الجزري، 1999م، ج1، ص/ 381)، فقراءة حفص إذًا تمثل النطق الأصلي للكلمة، مع ما فيه من قوة وشدة تتناسب مع شناعة الاتهام الذي وجهه بنو إسرائيل لنبيهم.

ب- قراءة ﴿هُزُوًا ﴾ بواو بدل الهمزة:

وهي قراءة بقية القراء السبعة (الوجيز في القراءات الثمان ، الأهوازي ، تحقيق : دريد حسن أحمد، دار المغرب الإسلامي ، 1426هـ، ص. 165)، وقد وجهها المؤلفان بأنها جاءت "للتخفيف"، حيث "قُلبت الهمزة واوًا وأُدغمت فيها الواو قبلها" (يقصدون أن الهمزة أُبدلت واوًا من جنس حركة ما قبلها وهو الضم)، وهذا التوجيه دقيق صوتيًا، فالقاعدة في تسهيل الهمزة الساكنة بعد ضم هي إبدالها واوًا، يقول ابن جني (ت 392هـ) في كتابه الخصائص: "وذلك أنهم يكرهون التقاء المثلين، ويكرهون أيضًا صعوبة الهمزة، فإذا اجتمع المكروهان معًا فروا منهما" (الخصائص ، ابن جني، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، 1952م، ج2، ص./154)، وهنا فروا من صعوبة الهمزة بإبدالها، وهذه القراءة تمثل الوجه التخفيفي الفصيح، وهو يعكس يسر الشريعة وسماحتها حتى في مستوى النطق.

قال ابن خالويه : قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنا هُزُواً يقرأ هزؤا ﴾ وكُفُواً بالضم والهمز، وجُزْءاً بإسكان الزاي والهمز (الإسكان لغة تميم وأسد وقيس، وهذا ما ذكره ابن خالويه نقلا عن صاحب كتاب غيث النفع)، والحجّة في ذلك اتّباع الخط، لأن «هزؤا» «وكفؤا» في المصحف مكتوبان بالواو، و «جزءا» بغير واو، فاتّبعوا في القراءة تأدية الخط.

وقرأ (حمزة) ذلك كله مسكنا مخفّفا، ووقف على «هزوا» و «كفوا» بالواو ،(بإبدال الهمزة واوا مفتوحة مع اسكان الزاي اتباعا للخط. والقياس أن يلقى حركتها على الفاء أو الزاي، وهذا ما نقله ابن خالويه عن الداني في التيسير) الحجة في القراءات السبع، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم [ت 1429 هـ] الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت ، دار الشروق – بيروت ط 4، 1401 هـ، ص 81)

الموضع 11: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١

الخلاف في كلمة ﴿النبيين) ومشتقاتها دائر بين الهمز وتركه.

في هذه الآية الكريمة يتضح ،توجيه قراءة ﴿النَّبِيِّينَ﴾ بالياء المشددة دون همز، على التسهيل والإدغام، و قراءة (﴿النَّبِيئِينَ﴾ بالهمز، على الأصل اللغوي من الإنباء، وفي ذلك يقول الأزهريّ: قوله جلّ وعزّ: ﴿النَّبِيِّينَ﴾ ، و ﴿الأنبِيَاء﴾ ،قرأ نافع وحده: ﴿النَّبِيئِين﴾ و ﴿الْأَنْبِئَاء﴾ ، و: ﴿النبيئُونَ﴾ ، و ﴿النبِيء﴾ بالهمز في كل القرآن إلا في موضعين في سورة الأحزاب: ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ﴾ ، وقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ، وسائر القراء لم يهمزوا ﴿النبي﴾ .

قال أبو منصور: من همز ﴿النبِيء﴾ و ﴿الْأَنْبِئَاء﴾ و ﴿النَّبِيئِين﴾ فهو من النبأ، ومن أنبأ عن الله، أي: أخبر، وكأنه على هذا (فَعِيل) بمعنى (مُفْعِل) ، مثل (نَذِير) بمعنى (مُنذِر) ، ولها نظائر في القرآن، ومن لم يهمز ﴿النبي﴾ ذهب به إلى: نَبَا الشيءُ يَنْبُو إذا ارتفع،ويقال للمكان المرتفع: نَبِي ، وكذلك النبوة والنباوة، وأكثر العرب على ترك الهمز في ﴿النبي﴾ ، وهو اختيار أهل اللغة؛ لأنه لو كان مهموزا لجمع على النبَئاء، وقد جمعه الله على ﴿الأنبِيَاء﴾ ، مثل (تَقِي) و (أتقِيَاء) و (غَنِي) و (أغنِيَاء) ، وحجة من همز وإن كان مجموعا على الأنبِيَاء، أنه مِثْلُ: نَصِيب ، وَأَنْصِبَاء، وجمع ربيع: النهر على أربعاء،والقراءة المختارة ترك الهمز) (معاني القراءات ، 1/154)

أ– قراءة ﴿النَّبِيئِين﴾ بالهمز:

وهي قراءة نافع المدني وحده (إعراب القراءات السّبع وعللها ، الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق عبدالرحمن العثيمين ، 1941م، ص/ 18)، وقد وجهها المؤلفان بأنها جاءت "على الأصل" (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص/ 14). وهذا هو الصواب، فالكلمة مشتقة من "النَّبَأ" وهو الخبر الهام، فالنبيء هو المُخبِر عن الله تعالى، يقول الإمام الزجاج (ت 311هـ): "فأما النبيء بالهمز فمعناه المُنبئ عن الله عز وجل، وهو من أنبأ إذا أخبر" (معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج ، تحقيق : عبدالجليل عبده شلبي ، ، 1988م، ج1، ص/ 136). وهذه القراءة تركز على الوظيفة الأساسية للنبي، وهي وظيفة الإنباء والتبليغ عن الله.

ب– قراءة ﴿النَّبِيِّينَ﴾ بياء مشددة دون همز:

وهي قراءة الباقين، وهي الأشهر، ووجهها المؤلفان بأنها جاءت "للتخفيف" حيث "أُبدلت الهمزة ياء وأُدغمت في الياء قبلها" (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص/14) وهذا هو التسهيل القياسي للهمزة المكسورة بعد ياء، لكن بعض علماء اللغة أشار إلى أن كلمة (النبيّ) بدون همز قد تكون مشتقة من "النَّبْوَة" وهي الارتفاع والعلو؛ فيكون النبي هو الشخص ذو المكانة الرفيعة والشرف العالي، يقول الراغب الأصفهاني (ت. 502هـ): "والنبيّ إن لم يهمز فمن النبوة أي الرفعة" (المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، 1412هـ، ص/ 790).

وهنا يتجلى الإعجاز مرة أخرى، فقراءة الهمز ﴿النَّبِيئِين﴾ تركز على وظيفة النبي (الإخبار)، وقراءة التخفيف ﴿النَّبِيِّينَ﴾ تحتمل معنيين: التسهيل الصوتي للأصل المهموز، أو الإشارة إلى مكانة النبي (الرفعة والعلو).

ثانيًا: ظاهرة الإدغام:

الإدغام هو إدخال حرف ساكن في حرف متحرك بحيث يصيران حرفًا واحدًا مشددًا، وغايته هي تحقيق التجانس الصوتي وتسهيل النطق

الموضع 12: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ **البقرة:** ١٥٨

وردت في الآية 158 قراءة ﴿فَمَنْ يَطَّوَّعْ خَيْرًا﴾ بالجزم على أنها فعل الشرط. وقد أشار المؤلفان إلى أن أصل الفعل هو "يَتَطَوَّع"، ووجهها المؤلفان بحدوث "إدغام التاء في الطاء" (أبو الفرح والعلمي، 1421هـ، ص/ 19).

التوضيح الصرفي والصوتي لهذه العملية هو أن الفعل (يَطَّوَّع) أصله (يَتَطَوَّع) على وزن (يَتَفَعَّل)، ولأن مخرج صوت التاء (من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا) قريب جدًا من مخرج صوت الطاء (من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، لكن مع إطباق واستعلاء)، مالت العرب إلى إدغام التاء في الطاء طلبًا للخفة والتجانس الصوتي، فتصبح الكلمة (يَطَّوَّع)، وهذا الإدغام من النوع الكامل الذي تزول فيه صفات الحرف الأول تمامًا، وهذه الظاهرة مطردة في اللغة، وهي دليل على الاقتصاد في المجهود العضلي أثناء النطق، وهو من سنن اللغات الحيّة.

في الآية الكريمة يتبين توجيه المؤلف لقراءة (يَطَّوَّعْ) بإدغام التاء في الطاء، وهو الأصل في الفعل "تَطَوَّعَ" عند جزمه.

قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ ، وَمن يطوع ، بِالْيَاءِ وَجزم الْعين وَكَذَلِكَ الَّذِي بعده وحجتهما أَن حُرُوف الْجَزَاء وضعت لما يسْتَقْبل من الأزمة فِي سَنَن الْعَرَبيَّة وَأَن الْمَاضِي إِذا تكلم بِهِ بعد أحرف الْجَزَاء فَإِن المُرَاد مِنْهُ الِاسْتِقْبَال نَحْو قَول الْقَائِل من أكرمني أكرمته أَي من يكرمني أكْرمه

وَيُقَوِّي قراءتهما قِرَاءَة عبد الله ، وَمن يَتَطَوَّع ،على مَحْض الِاسْتِقْبَال فأدغمت التَّاء فِي الطَّاء فِي قراءتهما لقرب مخرجها مِنْهَا ،وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿وَمن تطوع ﴾ بِالتَّاءِ وَفتح الْعين على لفظ الْمُضِيّ وَمَعْنَاهُ الِاسْتِقْبَال لِأَن الْكَلَام شَرط وَجَزَاء لفظ الْمَاضِي فِيهِ يؤول إِلَى معنى الِاسْتِقْبَال كَمَا قَالَ جلّ وَعز: ﴿ٱ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي ﴾ هود: ١٥، وحجتهم فِي ذَلِك أَن الْمَاضِي أخف من الْمُسْتَقْبل وَلَا إدغام فِيهِ

(حجة القراءات (ابن زنجلة)، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي 403 هـ) ،محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني [ت 1417 هـ] ، ص 118)

الخاتمة

بعد هذه الجولة التحليلية في كتاب "تقريب المعاني في شرح حرز الأماني"، والتي تتبعت منهجية المؤلفين في توجيه القراءات القرآنية الواردة في سورة البقرة، توصل البحث إلى عدد من النتائج المهمة، ويقترح بعض التوصيات التي قد تفتح آفاقًا لدراسات مستقبلية.

أولًا: نتائج البحث

يمكن إيجاز أبرز النتائج التي كشفت عنها هذه الدراسة في النقاط التالية:

هيمنة التعليل اللغوي: اتضح جليًا أن المنهجية الأساسية التي اعتمد عليها المؤلفان هي منهجية لغوية بالدرجة الأولى، حيث تم توجيه كل خلاف في القراءة بالرجوع إلى أصل من أصول النحو أو الصرف أو الأصوات، مما يؤكد أن القراءات القرآنية كلها تجري على سنن كلام العرب الفصيح.

المنهجية التكاملية في فهم المعنى: كشف البحث أن المؤلفين، من خلال توجيهاتهم، يبرزون باستمرار كيف أن القراءتين في الموضع الواحد ليستا متعارضتين، بل هما متكاملتان؛ فقراءة تصور السبب، وأخرى تصور النتيجة (كما في فَأَزَلَّهُمَا/فَأَزَالَهُمَا)، وقراءة تركز على وظيفة النبي، وأخرى على مكانته (كما في النَّبِيئِينَ/النَّبِيِّينَ). وهذا يثبت أن تعدد القراءات هو من مظاهر ثراء المعنى في النص القرآني.

الوفاء لعنوان "التقريب": أثبت التحليل أن المؤلفين كانا وفيين للعنوان الذي اختاراه لكتابهما. فقد اتسمت توجيهاتهم بالإيجاز والتركيز والوضوح، مبتعدين عن الاستطرادات اللغوية المعقدة والمناقشات الخلافية الطويلة، مما يجعل الكتاب مدخلاً ممتازًا وميسرًا لطلاب علم القراءات لفهم علل القراءات وحججها.

التركيز على القاعدة النحوية والصرفية: في جانب التوجيه النحوي، كان التركيز على اختلاف الوظيفة الإعرابية (فاعل، مفعول، خبر مقدم...) وأثر ذلك في المعنى. وفي جانب التوجيه الصرفي، كان التركيز على دلالات الأبنية الصرفية المختلفة (فَعَلَ، فَاعَلَ، فَعَّلَ) وكيف يضيف كل بناء معنى جديدًا كالمشاركة أو التعدية أو المبالغة.

العناية بالأصل اللغوي في التوجيه الصوتي: في الظواهر الصوتية، لوحظ أن منهج المؤلفين يقوم على رد القراءة إلى "أصلها" اللغوي، كقراءة الهمز في (النبيئين)، ثم تعليل القراءة الأخرى بأنها جاءت "للتخفيف" أو "للتسهيل"، مما يمنح الطالب تصورًا واضحًا للعلاقة بين الأصل والفرع في الظواهر الصوتية.

ثانيًا: توصيات البحث

بناءً على النتائج السابقة، يوصي الباحث بما يلي:

إجراء دراسة مقارنة: يُقترح إجراء دراسة تقارن بين منهجية كتاب "تقريب المعاني" في التوجيه، وبين منهجيات شروح الشاطبية الأخرى الأكثر توسعًا، مثل "إبراز المعاني" لأبي شامة المقدسي، وذلك لإبراز نقاط الالتقاء والافتراق، ومعرفة مدى الإضافة أو الاختصار التي قدمها المؤلفان.

توسيع نطاق الدراسة: توصي الدراسة بتوسيع نطاق البحث ليشمل بقية سور القرآن الكريم، وذلك للتحقق مما إذا كانت المنهجية التي تم استخلاصها من سورة البقرة هي منهجية مطردة في الكتاب كله، أم أن هناك اختلافات تفرضها طبيعة السور والموضوعات.

دراسة الجانب البلاغي: ركز هذا البحث على الجوانب النحوية والصرفية والصوتية. ويوصى بإجراء دراسة مستقلة تركز على تحليل الأبعاد البلاغية في توجيهات المؤلفين، وكيف ربطوا بين اختلاف القراءة والأغراض البلاغية كالالتفات والقصر والتوكيد.

ثبتُ المصادر والمراجع.

أوّلا : القرآن الكريم ، ومن ثم اعتمدت على المصادر الآتية:

- أبو الفرح، سيد لاشين، وخالد بن محمد الحافظ العلمي ،(1421هـ تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع (ط. 5)، مكتبة دار الزمان.
- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ) «معاني القراءات للأزهري»،مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود ،المملكة العربية السعودية ،ط1 ، 1412 هـ - 1991 م.
- عبدالرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي 403 هـ) «حجة القراءات»

- محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني [ت 1417 هـ] ، دار الرسالة (ص123)
- (أبو جعفر النحاس) (ت 338هـ) إعراب القرآن للنحاس ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1421 هـ.
- (الأشموني، المقرئ)، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (ت نحو 1100هـ) ، المحقق: عبد الرحيم الطرهوني ، دار الحديث – القاهرة، مصر2008 م.
- الأشموني، المقرئ ، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم المصري الشافعي (ت نحو 1100هـ) (منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني ، ، دار الحديث – القاهرة، مصر2008 م.
- الكرماني ، أبوالعلاء (مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني (ت بعد 563هـ) ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط1، 1422 هـ - 2001 م.
- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم [ت 1429 هـ] الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت ، دار الشروق – بيروت ط 4، 1401 هـ
- ابن الجزري، محمد بن محمد. (1999م). النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم. (1995م). مناهل العرفان في علوم القرآن. دار الكتب العلمية.
- القطان، مناع. (2001م). مباحث في علوم القرآن. مكتبة وهبة.
- القيسي، مكي بن أبي طالب. (1987م). الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تحقيق: محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. (1992م). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. دار الفكر.
- ابن الجزري، محمد بن محمد. (1999م). النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية.
- الداني، أبو عمرو. (1986م). التيسير في القراءات السبع. تحقيق: أوتو برتزل. دار الكتاب العربي.
- الزمخشري، محمود بن عمر. (1987م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربي.
- ابن مجاهد، أحمد بن موسى. (د.ت.). السبعة في القراءات. تحقيق: شوقي ضيف. دار المعارف.
- الرازي (فخر الدّين) مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، دار إحياء التّراث ، ، 1420هـ،
- ابن الحاجب ، الشّافية في علم التّصريف ، تحقيق : حسن أحمد العثمان ، مكتبة الرشد ، ، 1989م.
- الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرّسالة ، 2000م.
- ابن جني، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، 1952م.
- الأهوازي ، الوجيز في القراءات الثمان ، تحقيق : دريد حسن أحمد، دار المغرب الإسلامي ، 1426هـ
- ابن خالويه ، إعراب القراءات السّبع وعللها ، الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق عبدالرحمن العثيمين ، 1941م.
- معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج ، تحقيق : عبدالجليل عبده شلبي ، ، 1988م.
- الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، 1412هـ.